رسالة
في سياسة المنزل

MESSAGE IN HOME POLICY

سَماحَةُ الأَبِ المُرَبّي
الشيخُ منتظر الخفَاجِي

عنوان الكتاب: رسالة في سياسة المنزل.
المؤلف: الشيخ منتظر الخفاجي.
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.
سنة الطبع: ٢٠٢١.
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ٤٥٥ لسنة ٢٠٢١.

التصميم والاخراج الفني
مكتب نظر ٣٤٥٠٥٨..٧٨.

المركز الاعلامي لمكتبِ سماحة الأب المربي الشيخ منتظر الخفاجي.
almarkzalalami@gmail.com
..٩٦٤٧٨.١.١.٢٢٨

كَلِمةُ الناشِر

الحَمدُ للهِ مُبتَدأ الأشيّاءِ ومُنتَهاها والصّلاةُ والسَلام على
رَسولهِ المُنتَّجبِ طَه
وآلهِ خيرُ الورى وأتقاها

أما بَعدُ... فلا يَّخفى على كُلِّ متتَّبعٍ ومتَّحققٍ في واقعِ مُجتمعِنا الراهن، مُعاناتهِ الكثير من المُشكِلاتِ الأُسَريةِ التي هدَّدت وما زالت عُرّى الكيّانِ الأُسري, وعلى إختلاف أسبابِ تلك المشكلاتِ, التي مثّلت إنعكاساً لواقعِ الأنانيةِ والظُلم والتَعسُف والإستبداد, وصولاً لإفرازاتِها التي تفاقمَّت إلى حدودٍ غير مسبوقةٍ مِن قبيلِ حالاتِ الطلاقِ والانتحارِ والهروبِ وغيرها من محققات التفكُّك والإنحلالِ الأُسَري, الأمرُ الذي يُهدِّدُ بفسّادٍ لا مَنّاص منه للجيلِ الحالي, وإنحدارٍ للواقعِ الإنساني يتّعدى أمدَهُ ألاجيالَ اللاحقةَ, فيَعمُ الخرابُ البلادَ والعِبادَ.
وإنطلاقاً من الواجبِ الأخلاقي في التصدي لكلِّ ذلك, يَتشرّفُ المَركزُ الإعلامي لمكتبِ سَماحةِ الأبِّ المُربي الشيخُ

مُنتظرُ الخفاجي بتقديم ونشرِ هذا العمل الكريم والأثَر النافع لسَماحتهِ والموسومُ "رسالةٌ في سيّاسةِ المنزلِ", ليكون في متناولِ يدِ القارئ الكَريم.

وهو رسالةٌ إصلاحيّةٌ متكاملةٌ قلَّ نظيرُها, لمّا إختصَت به من قواعدٍ ومرتكزاتٍ وأساليبٍ عمليةٍ تستهدفُ تنظيمَ وتَهذيبَ وتَرقيّةَ نوّاة المُجتمعِ والأصل فيه ألا وهي (الأُسرَة), كما أختصَت بوضعِ منهاجٍ مُتكامِلٍ لرَبِّ الأُسرَةِ, يمُثلُ إعداداً حَقيقياً له في مُمارسةِ مَسؤولياتهِ بأكملِ ما يُحَقِقُ بهِ صَلاحَ أفرادِ أُسرتهِ ويَجعلُ مِن تلك الأُسرةِ أُنموذَجاً يُحتذَى به لتحقيقِ رُقيّ المُجتَمعِ والإسهامِ الفاعِلِ في تحَقيقِ غايةَ الله تعالى من خَلقهِ في عِمارةِ هذه الأرض (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)هود /٦١ سائلين المولى عَزَّ وجَلَّ أن يتَقبّلَ هذا العَملَ قبولاً حَسناً ليَعودَ على عِبادهِ بالخَيرِ والبَركاتِ

والحَمدُ للهِ على ما أنعمَ .

المركز الاعلامي
لمكتَبِ سمَاحةِ الأبِّ المُربي
الشيخُ مُنتَظرُ الَخفَاجِي

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقـدِمةُ

السلامُ عَليكمُ أَحبتي

إن تَحقيقَ الدَور المُهِم لطالبِ الكَمالِ أو طالبِ العملِ الإلهي يَتَطلبُ تَهيئةَ الأجواءِ المُناسبةِ لأداءِ رسالتِهِ وبلوغِ غايةِ وجودِه، ومِنها تَهيئةُ الجوِ المُناسبِ لهُ في مَنزلِهِ ،والذي يَجعلُ مِن المنزلِ، مُنطلقاً ودافِعاً لأداءِ مسؤولياتِه دونَ وجودِ موانعٍ أو مَشاغِلٍ أو صوارفٍ تَصرِفُهُ عن بلوغِ غايتِه أو أداءِ أعمالِه.

ولا شكَ أحبتي، إن المُشكِلاتَ المنزِليةَ هي مِن أكبرِ التحدياتِ التي تواجِهُ طالِبَ الكمالِ في طريقِهِ عموماً. وإنطِلاقاً مِن أهميةِ هذا الأمرِ، أكتُبُ هذه الرسالةَ النافِعةَ بإذنِ اللهِ تعالى لَكُم بالدرجةِ الأولى ولعامةِ الناسِ بالدرجةِ الثانية، والتي يَضمنُ الإلتزامُ بها سُرعةَ المسيرِ في طريقِ الكَمالِ وتَجنُبَ المُلهيّاتِ، التي تَتولَدُ مِن الإنشغالِ والإلتفاتِ للمُشكِلاتِ التي تأتي مِن سوءِ التَصرفاتِ أو

خَطأِ المُعالَجاتِ، وقَد حاولتُ أنْ أجعَلَها بسيطةَ الأُسلوبِ كي يَستفيدَ مِنها كُلُّ أبنائي على أختلافِ مَراتبهم ولَرُبما تَنفَعُ أبنائَهُم أيضاً.

وأتَمنى على أبنائي أنْ يَأخِذوا هذهِ الرسالةَ التي وضَعتُها خِصيصاً لَهُم بعينِ الإعتبارِ والإهتمامِ. سائِلاً اللهَ تَعالى أن يَأخُذَ بأيدِيهم إلى ساحةِ رِضوانهِ.

مُنتظرُ الخَفاجِي

أربيل/ كُردِستان العِراق

٢٠٢٠/٤/٢٠

التمهيدُ

الأُسرةُ هي التَجمُعُ الأولُ لبناءِ المُجتمعِ والرقي به إلى أعلى مستوى كَمالي يُمكِنُ أن يَبلُغَه، لذلكَ فإن الأُسرةَ هي الكيانُ الذي يُقرِرُ ما يكونُ عليهِ المُجتمعُ العامُ مِن التسامي والتَصاعُدِ أو التدني والتَسافُلِ، فلا نُبالِغُ إن قُلنا إنها أهمُ كيانٍ في المُجتمَعِ البَشري، بل قد تَصِلُ أهميتُهُ إلى حَدِ القُدسيةِ.

وعلى أساسِ هذه الأهميةِ وَجَبَ على مَن يَبتَغي تكوينَ أُسرةٍ أن تَكونَ غايةُ عِلاقتَهِ الزوجيةِ بعد تأسيسِ الأُسرةِ هي المُحافظةَ على هذا الكيانِ ،مهما كَلفَ ذلِك مِن جُهدٍ وتَضحياتٍ، والمحافظةُ على الكيانِ الأُسري تعني أن يَخطوَ رَبُّ الأُسرةِ كُلَّ الخَطواتِ التي تُساهِمُ بالرقي الأُسري على كُلِّ الأَصعدةِ العَقليةِ والنفسيةِ والإجتماعيةِ والدينيةِ وغيرها مِما يَضمنُ كمالَ هذهِ الأُسرةِ وعَدمَ نزولِها في سُلمِ التَكاملِ البشري. فلا غايةَ أشرفُ وأسمى مِن هذهِ الغايةِ.

دورُ رَبِّ الأُسرةِ

سواءٌ أكانَ ربُّ الأُسرةِ الأبَّ أو الأُمَّ أو كلاهُما، فإن لهُ دورٌ محوريٌّ يَجبُ أن يُؤديَّهُ على أحسنِ الوجوهِ المُمكَنةِ، ولا يَهمِلُ أيَ رُكنٍ مِنْ أركانهِ، ولا يَعتَمِدُ على غيرِهِ في أداءِه. فمسؤوليةُ رَبُّ الأُسرةِ تَنقسِمُ إلى قِسمينِ:

أولاً:المسؤوليةُ الماديةُ:

والتي تتلخَصُ بتوفيرِ الإحتياجِ المادي للأُسرةِ، دونَ إفراطٍ أو تَفريطٍ ،وتلبيةِ هذا الإحتياجِ يكونُ على أساسِ المُخططِ أو البرنامجِ الذي يَضعُهُ رب الأُسرةِ لأُسرتِه أو على وفقِ الغايةِ التي يُريدُ أن يُوصِل لها هذه الأُسرة، وليسَ الإقتصارُ على المأكلِ والمَلبَسِ فَقط ، فلرُبما أحتاجَت الأُسرةُ مَكتَبةً لها تَحوي مَجمُوعَةً مِن الكُتبِ العِلميةِ المُناسِبةِ للغايةِ التي يُريدُ رَب الأُسرةِ إيصالَ أُسرتِهُ إليها، أو أجهزةَ كمبيوترٍ أو غيرِها مِن الإحتياجاتِ المُناسبة لوَضعِها.

ثانياً: المسؤوليةُ المعنويةُ:

والتي مِن المفترضِ أنها جوهرُ مسؤوليةِ رَب الأُسرةِ والتي لأجلِها وضِعت المسؤوليةُ الماديةُ، بل هي مَن يُقرِرَ نوعيةَ الحياةِ الماديةِ التي ستَعيشها الأُسرةُ.

وهذه المسؤوليَةُ تتمحورُ حولَ تقديم الحياةِ المعنويةِ الأَنسَب للأُسرةِ، فيضعُ رَب الأُسرةِ الغايةَ المناسِبةَ لأفرادِ أُسرتِه والتي يُمكِنُ لَهُم ،بِبلوغِها، ضَمانُ أفضلَ وأكملَ نصيبٍ مِن هذهِ الحياة حتى يَصِلوا إلى مرحلةِ تقريرِ مَصيرهم بأنفُسِهم ،ليكونوا افراداً فاعلينَ في الحفاظِ على كيانِ الأُسرةِ وتَطويرِها لما يَجلِبُ لها النفعُ الحقيقي بالدرجةِ الأولى، وليكونوا أيضاً أفراداً فاعلين في المُجتمعِ حتى يَستطيعوا أن يَرتقوا بمُجتمعِهم العام أو على أقلِ تقديرٍ، يَنجحونَ في تأسيسِ أُسرٍ فاعِلةٍ في المُستقبلِ.

لذلكَ على رَب الأُسرةِ وضعُ البرامجِ والخُططِ المُتغيرةِ لأُسرَتِه والتي تتوافقُ مع التغيراتِ التي تَطرأُ على المجتمعِ أو الأُسرةِ على وَجهِ الخُصوصِ، سواءٌ أكانت هذه البرامجُ شاملةً لكُلِ أفرادِ الأُسرةِ أو مُخصَصةً، بمَعنى أنهُ يَضَعُ برنامجاً موحداً يُلائِمُ كُل أفرادِ الأُسرةِ أو أن يكونَ لكُلِ

فردٍ مِن أفرادِها برنامَجُهُ الخاصُ بهِ والذي يتلائمُ مع إمكانياتِه ومَلَكاتِه وصِفاتِه، مع مُراقبةٍ ومُتابعةٍ لتَفاعُلِ الأفرادِ مَع هذهِ البرامج. حينَها سيكونُ رَب الأُسرةِ رباً بمعنى الكَلمةِ.

تربيةُ الأبناءِ

التربيةُ: هي تنميةُ الوظائفِ الجسميةِ والعقليةِ والخُلُقيةِ لأجلِ بلوغِ كمالِها.

وعليهِ فإن إطعامَ أبنائِك وكسوتَهم وإدخالَهم المدارسِ لا يُعتَبرُ تربيةً وإنما هو جزءٌ بسيطٌ منها، فلا يحِقُّ لكَ أنْ تقولَ لأبنائِك أَنا ربيتُكم مع الإقتصارِ على هذه المُفرَداتِ البسيطةِ مِن التربيةِ، بل الحق إنك قصرتَ معَهُم وظَلمتَهم وأخفقَت في مسؤوليتِكَ.

التَنميةُ العقليةُ: حينما تكونُ التربيةُ أو جُزئُها هي تنميةُ القدرةِ العَقلية لدى الأبناءِ فإن ذلك يعني أن يَعملَ رَب الأُسرةِ على وضعِ برامجٍ لتطويرَ العقلِ، وتنميةَ مَداركِه، وتقويةَ دِقةِ النظرِ والتَحليل، وترويضَ العَقلِ على حلِ المُشكلاتِ العقلية ،وتفعيلَ قابليةِ الإستِنتاجِ والإستِنباطِ العَقلي لدى الأبناءِ، وإطلاعَهم على المُصنفاتِ التي تُساهِمُ في تطويرِ عقولِهم وتُحفزَهم على التعاملِ العقلي مع ما يواجِههُم في حياتِهم، ودفعَهم الى التَعمُقِ

في النظرِ، للأنتقالِ من النظرِ السطحي للأمورِ والاحداثِ إلى النظرِ العَميق، وهذا الجانبُ يحتاجُ الى تفصيلٍ ليس مَحَلُهُ هذهِ الرسالةَ الموجَزة[1].

أما التنميةُ الخُلُقيةُ: فهي تحسينُ صفاتِ الفردِ وإستبدالُ الصفاتِ والسجايا الرديئةِ بالصفاتِ والسجايا الحميدةِ والتخَلُصُ مِن كُل خُلُقٍ سيئٍ.

وهي تتطلبُ أموراً منها أنْ يقِفَ ولي الأمرِ على أخلاقِ أبنائِه ويَعرِفَ النواقصَ الخُلُقيةَ لديهِم ثم يَضعَ المناهجَ على أساسِ ما عَرَفَ ،ليسدَ تلكَ النواقصَ، فيَرتقي بأخلاقِهم ويَسموا بصفاتِهم حتى يُبصِرَ صدورَ الأفعالِ عن تلكَ الأخلاقِ الجديدةِ، فصدورُ الأفعالِ عن الصفاتِ الجديدةِ ، هي بلا شكٍ، دلالةٌ أوليةٌ على تَمكُنِ تلكَ الصفاتِ مِن الفردِ.

ويُفضَلُ التدرُجَ في ذلك، بحيثُ يَبدأُ معَهُم بالآدابِ العامةِ وهي تحسينُ الصورةِ الظاهِرةِ لأفعالِهم، والتي تنفعُهم في بناءِ ظاهرِ شخصيتِهم وتكونُ مُمهِدَةً لدخولِ

١- للقارئ الكريم الإستفاضة من هذا الموضوع من خلال الإستماعِ لِما جاءَ في المحاضرات الصوتية لسماحةِ الشيخ بعنوان التكليف العام وبأجزائه الاربعة والمتوفرة على الموقع الالكتروني لسماحة الأب المربي الشيخ منتظر الخفاجي.

التَهذيب الأخلاقي، وأيضاً فإن الآدابَ هي قيودٌ تُقيدُ عشوائيةَ الشهواتِ والأهواءِ، فَيُمَرِّنُ رَبُّ الأُسرةِ أبنائَه على آدابِ المجالسِ وآدابِ الحديثِ وآدابِ السفرِ وغيرها مما يَجِدهُ في هذا الجانبِ، نعم، هذا الأمرُ يحتاجُ إلى جُهدٍ كبيرٍ إلا أن ثمرتَهُ عَظميةٌ.

ولابُدَّ أن يستعينَ رَبُّ الأُسرةِ بما يُساعِدُه في ذلكَ مِن مُصنفاتٍ بعلمِ الأخلاقِ أو مِن الأخصائيين أو غيرِ ذلك.

وأما التنميةُ الجسمانيةُ: فهي التي يَضمنُ معها رَبُّ الأُسرةِ سلامةَ صِحةِ أبنائِه الجسمانية، بحيثُ تكونُ أجسامُهم مُساعدةً لهُم في تحقيقِ أهدافِهم لا أنْ تكونَ موانعاً بسببِ الأمراضِ والكسلِ وغيرِها. فيُرغِّبُ أبنائَهُ بالرياضاتِ الجَسديةِ ويُحدِدُ لهُم ما يَنفَعُهم حتى يَعتادوا على ذلكَ، ويصبحُ الإهتمامُ بصحةِ أبدانِهم من أساسياتِ حياتِهم.

زرعُ القيمِ الإنسانيةِ العُليا

مِن الأمورِ المُهمةِ التي يَتَجلى بها مَعنى الأُبوةِ ومَعنى التربيةِ ويُحَقِق من خلالِها رَبُّ الأُسرةِ رسالتَهُ الشَريفةَ، هي زرعُ القيمِ والمبادئ الإنسانيةِ العُليا في أُسرَتِه، فمهما كانَ مستوى الإنسانِ العقلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، إن خلا من تلكَ المفاهيمِ، فقد خرجَ عن إنسانيَتِه، لأن جوهرَ الإنسانيةِ هو ما تَحمِلُهُ مِن مفاهيمٍ عُليا، حيثُ تُعَدُ هذه المفاهيمُ أساساً وقاعدةً لِكُلِ بناءٍ يَرومُ الإنسانُ تَشييدَهُ، سواءٌ أكانَ بِناءاً دنيوياً أو أُخرَوياً أو تَكاملياً.
فهي القاعدةُ الأُمُ لكُلِ هذه الطُرقِ، فينطلقُ الفردُ مِنها لتحقيقَ أيةَ غايةٍ في عالمِ الدُنيا.
ومِن أُمَهاتِ هذهِ المبادئ والمَفاهيمِ ما يلي:

أولاً: حُبُ الخيرِ للغَيرِ : إن لهذا المبدأ المعنوي فائِدةٌ كُبرى للفردِ يمكنُ النظرُ إليها من ثلاثِ زوايا:

الزاويةُ الأُولى: على الصعيدِ الدنيوي، حيثُ تَجعلُ للفردِ شَخصيةً مُحتَرمةً ومَقبولَةً في كُل المُجتَمعاتِ الصالحةِ

والفاسدةِ على حدٍ سواءٍ، وتَجعلُ لهُ مَحبةً ومَكانةً في قلوبِ الناسِ على إختلافِ مراتبِهم.

الزاويةُ الثانية: إن حُبَ الخيرِ للناسِ وتقديمَ ما يُصلِحُ حالَهم لَهوَ مِن جَوهرِ الدياناتِ بإختلافِ أُصولِها، بل إن الدياناتَ كُلُها قائِمةٌ على هذا المُرتكَزِ، فَمَنْ يَرومَ الجزاءَ الأُخرَوي ونيلَ درجاتَ الجِنانِ، سيكونُ إنطِلاقُهُ مِن حُبِ الخيرِ هوَ الطريقُ الأقصرُ للوصولِ إلى تِلكَ الغايةِ والفوزِ بها.

الزاويةُ الثالثةُ : إن من يَطلُبُ التكاملَ المعنوي والقُربَ مِن الخيرِ المُطلقِ جل جلاله، عليه أن يتيقَنَ إن مَبدأ حُبُ الخيرِ للغيرِ هو مِن المَبادئ التي أُسِّسَ عليها طريقُ الكمالِ، إذ أِن هذا المبدأَ هو مِن المبادئ الإلهيةِ التي نُبصِرُ تطبيقاتَها يومياً، حيثُ أن ما يقومُ به اللهُ تَعالى مِن خَلقٍ وإبداعٍ وتَسييرٍ وتَدبيرٍ، كُلُها بسببِ حُبُ الخيرِ لعبادِه وتقديمُ مَصلحَتِهم وإحداثُ ما يُصلحُهم، فهو مِن مَبادئ التعامُلاتِ الإلهيةِ التي ينبغي لطالبِ القُربِ الإلهي الإقتِداءَ بها.

ثانياً: مُساعدَةُ المُحتاجِ: سواءٌ أكان إحتياجَه مادياً كالأكلِ

والشربِ أو معنوياً كالموعظةِ والنصيحةِ والتعليم وغيرِها، فإن مَبدأَ مُساعدتِهِ هو مَبدأٌ شاملٌ وقاعدةٌ عامةٌ تَصلِحُ أن تكونَ أساساً ومنطلقاً لخيرِ الدُنيا والآخرةِ.

ثالثاً: الإصلاحُ : وجوهرُهُ إصلاحُ ما يُمكِنُ إصلاحُه مِما فَسَدَ في المُجتمعِ، فيعملُ الفردُ على إصلاحِ النفوسِ الفاسدةِ وإصلاحِ العقولِ المُعطلّةِ وإصلاحِ القلوبِ الميتةِ وإصلاحِ الضمائرِ المُنحرفةِ وإصلاحِ المُعتقداتِ الباليةِ، وكُلُ ما يَدخلُ تحتَ مفهومِ الإصلاحِ.

فهو مِن المبادئ العُليا التي إختَصَ بِها أسيادُ البشرِ مِن أصحابِ الهِممِ وأربابِ العقولِ. وهو أيضاً مِن القيمِ التي تُناسبُ كُل الغاياتِ في عالمِ الدُنيا أو غيرِه مِن العوالمِ.

رابعا: نُصرةُ المَظلومِ : وهو مِن الأفعالِ العُليا التي تُساهِمُ في سيرِ المجتمعاتِ بإستقامةٍ، وتَخلِقُ تَوازُناً في المُجتمعِ، وهو مِن القواعدِ المُشتركةِ في البناءِ الدُنيوي والأُخرَوي والكَمالي. فلابُدَّ مِن أربابِ الأُسرِ أن يَزرعوا هذا المفهومَ في نفوسِ أبنائِهم مُنذُ الصِغَرِ ويُقبّحوا لهم الظُلمَ والعدوانَ على الغيرِ، ويُبينوا لهم أهميةَ هذا المبدأ في تَقويمِ حياة الإنسانِ.

خامساً: إدخالُ السرورِ على قلوبِ الناسِ : وهذا المبدأُ من المبادئِ التي أوشَكتْ أنْ تُسلَبَ من المُجتمعِ، وقد كانَ لهُ أثراً إيجابياً كبيراً في تَرابُطِ المُجتمعِ، وتقريبِ النفوسِ. وهو مبدأٌ عامٌ يَنفعُ على الصعيدينِ الدُنيوي والأُخرَوي، ولا يَحتاجُ العملُ به إلى جُهدٍ كبيرٍ، فقد تكونُ كَلِمةٌ واحدةٌ تُدخِلُ من خِلالِها السرورَ على قلبٍ حزينٍ، أو تَرفعُ بها هماً كبيراً من صدرِ مهمومٍ. فزرعُ هذه المبادئُ في أبنائِنا لَهوَ عَطاءٌ لا يُقدرُ بثمنٍ.

سادساً: التسامحُ: إن الكثيرَ من المآسي والويلاتِ العامةِ والفرديةِ كانَت بسببِ إنعِدامِ صِفةِ التسامُحِ في المُجتمعاتِ عموماً أو الأفرادِ خصوصاً، فقد إشتعلَت حروبٌ إمتَدت لسنواتٍ وحُصِدَتْ أرواحٌ لا تُحصى بسببِ عَدَمِ وجود التسامُحِ.

إن التسامُحَ ليس مفهوماً أخلاقياً مُجرداً، ولا تعليماً إنسانياً مُترَفاً، إنما هو رُكنٌ مِن أركانِ بقاءِ الحياةِ على هذا الكوكبِ، فبالتسامُحِ تُؤدُ الفِتَنُ، وبالتسامُحِ تُغسَلُ القلوبُ، وبالتسامُحِ تَتجددُ الفُرصُ، وبالتسامُحِ تَصفى النفوسُ، وبه نقتربُ مِن ذلِكَ النورِ الفطري المودَعُ في

دواخلِنا، فهو مِن أهمِ المبادئ وأسماها، وهو مِن أوسعِ القواعدِ الكُليةِ للأنطلاقِ نحوَ كُل الغاياتِ، فكل قاعدةٍ ساميةٍ لا تَحِطُ رِكابَها إلا في غايةٍ ساميةٍ. ومَن إفتَقرَ التسامحَ فقد خَسِرَ خُسراناً كَبيراً.

سابعاً: تَقبُلُ الآخرِ: الإختلافَ لابُدَّ مِنه وليس مِن سبيلٍ لإستيعابِه الا بِتَقبلِ ذلك المُختَلِفِ، فالأبُ يَختلِفُ عن إبنِه، والزوجةُ تَختلِفُ عَن زَوجِها، والصَديقُ يَختلِفُ عن صديقِه، وهكذا، فلا سبيلَ للتعايُشِ إلا أن نتَقبلَ ذلِكَ المُختَلِفَ، سواءٌ إختَلفَ عنا بالأفكارِ أو الأفعالِ أو الصورةِ أو اللونِ أو الدينِ أو العقيدةِ أو غيرِها مِن الإختلافاتِ.
والتَقَبلُ هنا تارةً يكونُ نفسياً، وذلك بأن أتقبلَ الآخرَ على ما هو عليهِ دون وجود موانع داخلِ نفسي، أي ليس تَقبلُ إضطرارٍ أو تَقبُلُ مُجاراةٍ ومُداراةٍ، بل أُزيلُ ذلِك المانِعَ الداخلي، وإلا أكونُ... واقِعاً... ما تَقبلتُهُ!!وإن كانَ ظاهِرُ أفعالي خِلافَ ذلِك.

إن وجودَ موانع القبولِ الداخليةِ ستجعلُني غيرَ قادرٍ على الإقترابِ الحقيقي مِن ألآخرِ إطلاقاً، لكنْ حينما أُزيلُ تِلكَ الموانعَ والأوهامَ النفسيةِ . التي توحِي لي بأن المُقابِلَ أدنى مني أو عدوٌ لي لأنه يَختلِف معي ولا يَنبغي الاقترابُ

مِنه .،حينها فقط سيكونُ الإقترابُ إقتراباً قلبياً حقيقياً.
وتارةً يكونٌ التَقبلُ فكرياً، فأتَقبلُ أفكارَ المُقابلِ مهما كانت مُخالفةً لأفكاري، ولا أقصِدُ بذلكَ تبني أفكارَهُ والإعتقادَ بها، وإنما أجعلُ عندي سِعةً عقليةً أتَقبلُ مِن خلالِها وجودَ شخصٍ يَحمِلُ أفكاراً مُخالِفةً لأفكاري، وأستسيغُ وجودَه دون أن يكونَ لدي رَغبةٌ في تَغييرِ أفكارِه، فيكونُ عقلي من السِعةِ والإنفتاحِ بحيثُ يَفهمُ أن عالمَ الدُنيا هو عالَمُ إختلافٍ، وإن إختلافَ الأفكارِ لهو مِن أكبرِ مُحركاتِ هذا العالمِ، ومِن زاويةٍ أُخرى، فإن خالقَ الناسِ جلَّ جلالِهِ مُتَقبلٌ لَهُم كيفَ ما كانت أفكارَهُم! فيَنبَغي عَليَّ كعاقلٍ أنْ أتَقبلَهم على ما هُم عَليه مِن الإختلافِ الفِكري.
إنَّ مِن أهمِ الأسبابِ المولِدةِ لمُشكِلةِ عدمِ تَقبُلِ المُخالفِ هي أن العقلَ البَشري تطبَعَ على وجودِ صوابٍ واحدٍ والباقي خطأ، وأن الحقَّ واحدٌ والباقي باطِلٌ، وأنَّ الفكرةَ الصحيحةَ واحدةٌ وما سِواها خاطِئةٌ، وهذا المُعتقدُ سَبّبَ الكثير مِن المآسي وجَلبَ الدمارَ للبشريةِ في كُل حُقبِ حياتِها، وهو ليس إلا ضيقاً في العقلِ البشري الجمعي والناشِئ مِن الأنانيةِ، وإلا فمِن أينَ لك أن تَجزُمَ بأن فِكرتَك هي الصوابُ وفكرتي خاطِئةٌ ؟ ولماذا... إما صَحٌ

وإما خَطأٌ ؟! ألا يُمكن أن تكونَ فكرتي صحيحةً نِسبةً لي وفِكرتُك صحيحةً نِسبةً لَكَ ؟ أنا أرى أن فِكرتي أعطتني نتائجاً طيبةً، وأنتَ تَرى أن فِكرتَك أعطتَك نتائجاً طيبةً، فأينَ المُشكلَةُ ؟ جوابُ ذلك: إن المُشكِلةَ تتحققُ حينما أنظرُ لفكرتِكَ بعيني وأنتَ تنظرُ لفكرتي بعينِك! وأنا لا أرى إلا عيني وأنتَ لا ترى إلا عينَك، هذهِ هي الأنانيةُ التي ذَكرناها سابِقاً، ومِن هُنا بَدأت الحروبُ الدينيةِ والدنيويةِ، ومِن هنا قُتِلَ أطفالٌ لا يَعرِفونَ ما هو الإختلافَ ولا الأفكارَ ولا المعتقدات!!، أعتقِدُ أن قلمي سَرَحَ كثيراً !! وأخرَجني عن الموضوعِ غَفرَ اللهُ لهُ!.

ما نُريدُ قولُهُ أن على رَب الأُسرةِ أنْ يزرعَ في أرضِ أُسرتِه المفاهيمَ العُليا التي تجعلُ أُسرتَهُ في أعلى مراتبِ الإنسانيةِ، وأن يَعيَ أن بِناءَ الأُسرةِ إنما هو بناءُ عالمٍ كاملٍ.

المُراقَبةُ والمُحاسَبةُ

إن التربيةَ بقسميها العامُ والخاصُ لا تكتملُ إلا بتوفرِ جانبينِ أساسيينِ وهُما المُراقَبةُ والمُحاسَبَةُ.

المراقبةُ: هي المتابعةُ والتحَقُقُ مِن سيرِ الفردِ على النظامِ الذي وُضِع لَهُ وعَدمُ خُروجهِ عَنه، فيراقِبُ رَبُّ الأُسرةِ تَصرفات أفرادِ أُسرتِه ويتابعُ ما يَصدُرُ عنهُم لأجلِ تَقويم أخطائِهم وتَصحيحِ إنحرافاتِهم وإبعادِ كُل ضَررٍ قد يُصيبهُم، ومِن خِلالِ هذا العملِ يَضمنُ إستمرارَ تربيتِه وِفقَ المُخططِ الذي وضعهُ لهم أو طريقةِ التربيةِ التي أتَخذَها.

لكن يَجب أن لا تَجعلَ مِن المُراقبةِ قيداً تُقيّدُ به الأُسرةِ، ولا تُسبِبَ لَهم ضَغطاً نفسياً، إنما إجعلها تَتمُ بأسلوبٍ ذكيٍ مِن غيرِ أن يَشُعرَ الأبناءُ بذلك، ومِن دون أن تَنتزعَ حُريتَهُم، فقد تكونُ الجَلساتُ العائليةُ وما يُستشَفُ منها كافيةً لمُراقبةِ مستوياتِهم.

المُحاسبَة:

يَجِب على أفرادِ الأُسرةِ أنْ يَرَوا نتائِجَ أعمالِهم سواءٌ أكانت جيدةً أم سيئةً، لأجلِ تَقويمِ وتَكميلِ تلك الأعمال، وهذا هو دورُ المُحاسبةِ.

فالمُحاسبةُ هي التي يتبينُ مِن خِلالِها نَجاحُ العملِ أو فَشلِه، ومستوى ذلكَ النجاحُ والفَشلُ، وتسليطُ الضوءِ على مواضعِ الخللِ وأسباب الفشلِ المؤدي الى تجنُبِها مُستقبلاً، وكذلك تَكشِفُ أسباب النَجاحِ التي تَجعلُ مِنها ركائزاً ومنطلقات للأعمالِ الأُخرى ،ولكي يُتممَ رَبُّ الأُسرةِ عَملَهُ، لابُدَّ لهُ مِن الإهتمامِ بجانبِ المُحاسبةِ إهتماماً مسؤولاً .

والمحاسبةُ لا تكونُ الا بعدَ التكليفِ أو بعد إعطاءِ المسؤوليةِ، فحينما يَضعُ ربُ الأُسرةِ غايةً أو هدفاً لأفرادِ أسرتِه، والذي يكون على قَدرِ طاقتِهم، ويُبينُ لهم السُبلَ الصحيحةَ لبلوغِ ذلك الهدف، ويوضِحُ ذلك وضوحاً تاماً، حينئذٍ له أن يُحاسِبَهم على أساسِ ما حملَّهُم مِن أعمالٍ، ثُم يجِبُ أن يُشعِرَهُم بأهميةِ المُحاسبةِ، وفائدتِها في الوصولِ لغايتِهم حتى لا يَكرَهوا هذا الجانبَ وبالتالي يَفتَحُ بابَ التهرُبِ مِن المُحاسبةِ.

الجـــزاءُ

لابُدَّ لكُل عَملٍ مِن عاقبةٍ وجَزاءٍ، وإلا فَسيكونُ العَملُ عَبثياً، فَكل مَن يُؤدي عَملاً ما عظيماً أو حقيراً لابُدَّ أن يكونَ هنالِك جزاءٌ لعملِه هذا، وقد يكونُ الجزاءُ في نفسِ العملِ أو قد يعقِبُه.

إن مَن يَرومُ تربيةَ أُسرتِه تربيةً صحيحةً ويَضعُ لهم نِظاماً تَربوياً يَضمَنُ معَه وصولَهم إلى أفضلِ المراتبِ الإنسانيةِ، سيكونُ بحاجةٍ إلى نِظامٍ جزائي، وهذا النظامُ الجزائي لا يَقِلُ عطاءُه عن فائِدَتين، إما التَحفيزُ وإما التَكميلُ، فعِندما يقومُ إبنُك بِفعلٍ جَيدٍ وتُجازيه على فِعلهِ ذاكَ، يَكونُ هذا الجزاءُ محفزاً ودافعاً لتِكرارِ الفعلِ وأداءِ ما يُشابِهُه مِن الأفعالِ، هنا تكونُ قد حَفزتهُ ودفَعتَهُ لأداءِ الأفعالِ المُناسبةِ.

مثلاً ، حينما يقومُ إبنُك بكتابةِ قِصةٍ وتَجِد أن في كتابتِه نَقصاً كبيراً، قُمْ بشراءِ مجموعةٍ مِن القَصصِ واهديها إياهُ حينئذٍ تكونُ قد ساعَدتَهُ على تقويمِ كتاباتِه للقَصَصِ وتقويةَ قابِليتِه على ذلِكَ.

والجزاءُ قِسمانِ: ثَوابٌ وعِقابٌ

فالثوابُ : هو الجزاءُ على فِعلِ الصوابِ، والذي مِن المُفترضِ أنْ يَدفعَ الإبنَ لأداءِ الفِعلِ الأفضلِ والإرتقاءِ لِما هو أعلى مِما حَقَقهُ سابقاً. حيثُ يَنظُر الأبُ حينَ الثوابِ إلى نوعِ الثوابِ المُناسِب للإبنِ آخِذاً بعينِ الإعتبارِ جميعَ جوانبَ الإبنِ النفسيةِ والعقلية والقلبية والروحية، فيُثيبَهُ بالثوابِ الذي يُحَقِقُ لَه فائِدةً تُساهِمُ في وصولِه إلى ما خُطَ لَهُ مِن غايةٍ. ومِن جانبٍ آخرٍ يَنبغي أن يتوسطَ ربُ الأُسرةِ في إثابَتِه بينَ الإفراطِ والتفريطِ، فقد يَدفعُ الفَرحُ برَبِ الأُسرةِ إلى أنْ يُثيبَ الإبنَ بثوابٍ يُخرِجهُ عن حدِ الإصلاحِ إلى حدِ الإفسادِ، أو قد يَنظرُ رَبُّ الأُسرةِ إلى إنجازِ الإبنِ بعينِه لا بعينِ إبنِه ! حينها قد يَستَصغِرُ الإنجازَ, الذي هو في عينِ إبنِه عظيماً، فيَظلِمُ إبنَهُ حينَ الثوابِ، لذلك نقولُ: يَجبُ على رَب الأُسرَةِ أن يَنظُرَ لِكُل جوانِبِ إبنِه ثُم يُقرِرَ نوعَ الثوابِ.

وأما العِقابُ: فهو الجزاءُ على الأفعالِ الخاطِئةِ وهو ينطَوي على الإيلامِ أو الحِرمانِ .

هذا هو التعريفُ العملي لمفهومِ العقوبةِ في القوانينِ الوَضعيةِ، وغايةُ تلك العقوباتِ هي إيقافُ الخطأ ودَفعُ المُخطئ لعدمِ تِكرارِهِ في المُستقبلِ، وقد تكونُ بعضُ

العقوباتِ إنتقاميةً مَحضةً.
والعملُ بهذا المفهوم للعقوباتِ قد يكونُ ضَررَهُ أكبرُ مِن نَفعِه، ومِن خلالِ التجارُبِ لم يُعطِ هذا الأسلوبُ نتائِجاً مُعتبرةً، والسببُ في ذلك هو الفهمُ البسيطُ للأخطاءِ والجرائِم، فحينما نَنظُرُ للخطأِ على أنه فِعلٌ سيءٌ وهادِمٌ يَنبغي أن يُعاقَبَ من يقومُ به، فهذهِ نَظرةٌ سَطحيةٌ ساذَجةٌ، لأننا لا نعلمُ السببَ الدافعَ لهذا الخطأ، لا أقصدُ السببَ الظاهريَ وإنما السببَ الداخلي، وأعني بهِ النقصَ الداخلي الذي تَوَلدَ مِنه خاطِرُ التَقصيرِ أو الرغبةُ بالخطأِ، وهذا يَتطلبُ تَعمُقاً لِفَهم نفسَ وعَقلَ المُخطئ.
ثُم إن التَخلُصَ من الخطأِ ليس بالعقوبةِ الإنتقاميةِ، بل بإزالةِ مُسبِبِ هذا الخطأ وقلعِ جذورَ مولِداتِه وإلا فلا ضامِنَ لعدمِ رجوعِ المُخطئ لتَكرارِ خطيئتِهِ حتى معَ وجودِ العقوبةِ.
الذي فهِمناهُ مِن خلالِ تَتبعِ العقوباتِ الإلهيةِ في حياةِ الأفرادِ اليوميةِ، إن العقوباتَ حَسَب النظامِ الإلهي هي عقوباتٌ عطائيةٌ وليست إنتقاميةً.

فإذا أمعَنتَ النظرَ بأيةِ عقوبةٍ إلهيةٍ ستَجِدُها عَطاءاً مَحضاً تَلبّسَ ثوبَ العقوبةِ، وأعني به عِقاباً إصلاحياً

وتقويمياً حَملَ صعوبةً نِسبيةً على النفسِ، وحينَ وقوعَ العقوبةِ الإلهيةِ نجدُ إن المُعاقَبَ قد إختَلفَ وضَعهُ عن السابقِ أو إرتَقى مُستواهُ أو إلتفتَ إلى أمورٍ كان غافلاً عنها. ومن هذا المُنطلقِ نقولُ: لأجلِ أنْ يكونَ عِقابُ رَب الأُسرةِ مُثمراً يَجِبُ أن لا تَخلو عقوبَتُه مِن الأمورِ التاليةِ:

أولاً: أن تكونَ العقوبةُ عطائيةً وليست إنتقاميةً، من قبيلِ أن يُعاقَبَ الإبنُ المُخطئ بالإستماعِ لمُحاضَرةٍ وتَلخيصَها، أو أن يُكلفَ بأمرٍ يَكسِرُ لديه الخوفَ أو التَردد، أو عمَلٌ يُحقِقُ له فائدةً ماديةً وهكذا، نَعم هو سَيراها عقوبةً لأنها صعبةٌ على نفسهِ أو تَضرِبُ بعضَ الثوابتِ النفسيةِ لديه لكنها ستُساهِمُ في بناءِ شخصيتِه وتَكميلِ ذاتِه.

ثانياً: يَنبغي أن لا تتَعدى العقوبةُ حجمَ الخطأِ، وإلا فسوفَ يقعُ المُربي في إشكالِ الظُلمِ والضغطِ العبثي على رعيتِه، ومِن المُؤكَدِ أن الظُلمَ في العقوباتِ ناشِئٌ مِن العقوباتِ الإنتقاميةِ حيثُ شهوةُ الأنتِقامِ التي تدفعُ الإنسانُ لإختيارِ أشد العقوباتِ، أما إنْ كانت العقوبةُ عَطائيةً فإنها ستكونُ بعيدةٌ كُل البعدِ عن إشكالاتِ الظلمِ والضغطُ العبثي.

ثالثاً: إن إستطاعَ رَبُّ الأُسرةِ أنْ يختارَ مِن العقوباتِ ما تكونَ مُزيلةً لأساسِ الخَطأ أو جزءٍ مِنهُ، أو على أقلِ تَقديرٍ أن تكونَ ماحيةً لأثارِ ذلِك الخَطأ، فإن ذلِك أفضلُ وأكملُ.

رابعاً: . وهي نقطةٌ مُهمةٌ . على المربي أنْ يَنظُرَ إلى الخطأِ على إنهُ كاشِفٌ عَن الخللِ الموجودِ في نفسِ المُخطئ، فمَن أخطأ مَعك فقد دعاكَ بِلسانِ خطأِه لمُعالجةِ نَقصِه، فيَبدأُ المربي بالعملِ على علاجِ ذلك الخللِ.

خامساً: أن يَتجنبَ رَبُّ الأُسرةِ ترتيبَ آثارٍ في داخلِه على الخَطأِ أو تِجاهِ المُخطِئ عموماً، مِن قَبيلِ الغضبِ أو الإنزعاجِ الطويلِ الأمدِ، بل يَجِب عليه أن يُزيلَ كُل أثرٍ أحدَثهُ الخَطأُ في داخلِه تِجاهَ المُخطئ قبلَ أن يُصدِرَ العقوبةَ.

سادساً: إن وَجَدَ المُربي في نفسِ إبنِه ندماً على خطأهِ أو لوماً داخلياً أكثرُ مِن اللازمِ أو أكبرُ مِن الخَطأ، فعليهِ أن يُخرجَه مِن دائرةِ الندمِ واللومِ هذه، قبلَ أن يتحولَ الندمُ إلى إنكسارٍ في عزيمَتِه وسوءِ ظنٍ بنفسِهِ.

التَحصينُ مِن المَخاطِرِ

التحصينُ مِن المَخاطِرِ الخارجيةِ : ونَقصِدُ بالمَخاطِر الخارجيةِ هي الأضرارَ والإنحرافاتَ الموجودةَ في المجتمعِ، فَيَحرِصُ رَبُّ الأُسرةِ على أنْ يُجنِبَ أُسرتَهُ كُل الأخطارِ والإنحرافاتِ التي تؤثِرُ سِلباً على أفرادِ أُسرَتِه، فيتخذَ الحيلَ والأساليبَ التي يَضمِنُ مَعها عَدم تأثرِ أُسرتِه بالأمراضِ والإنحرافاتِ الإجتماعيةِ، وهذا يَستلزِمُ أن يكونَ رَبُّ الأُسرةِ على دِرايةٍ تامةٍ بما هو موجودٌ في بيئتِه ومُجتمَعهِ مِن أمراضٍ ومَخاطرٍ، فيتخِذَ الخطواتَ التي تكونُ سهلةَ التطبيقِ ومقبولةً مِن قِبلِ أفرادِ أُسرَتِه ويَطرحَها بالطريقةِ التي تُثيرُ اهتمامَهُم.
ومِن تِلك الأساليبِ:

الأسلوبُ الأولُ: زيادةُ الوعيُ الأُسريُ، ويكونُ عَن طريقِ طرح الآفاتِ والمَخاطرِ الخارجيةِ وبيان أضرارِها وآثارِها السِلبيةِ على حياةِ الفردِ آنياً ومُستقبَلياً بياناً جَلياً، فإن كانَت العائلةُ مُتدينةً، فيُمكِنُ لرَب الأُسرةِ أن يستعينَ

بِما وَردَ مِن النُصوصِ الشرعيةِ والدينيةِ والتي تُحذرُ مِن هذه المَخاطِرَ وما تُوصِلُ إليه دُنيوياً وأُخرَوياً، وأما إن كانَت العائلةُ غيرَ مُتدينةٍ حينَها يُمكِنُ للأبِ أن يَستعينَ بالأدِلةِ العقليةِ والتجريبيةِ لتبيانِ أضرارِ تِلك المَخاطرِ، فيَدخِلُ الأَبُ بِذلكَ مِن البابِ المُناسبِ لأُسرتهِ.

الأسلوبُ الثاني: رفعُ المُستوى العَقليُ، وذلِك بِأن يَعملَ رَب الأُسرةِ على رفعِ المُستوى العَقلي لإفرادِ أُسرتهِ بحيث يُصبِحُ مِن الصعبِ خِداعُهم أو إنجرارُهم النفسي وراءَ الأفعالِ السيئةِ والتصرفاتِ الطائشةِ.

ورفعُ المُستوى العقليُ يَعتَمِدُ على كُثرةِ تَحريكِ العقلِ عن طريقِ الفِكرِ، فحينما يَتفكرُ الإبنُ في سلبياتِ وإيجابياتِ فِعلٍ مُعينٍ ويَصِلُ إلى بَعضِ النتائجِ، وإن كانَت خاطئةً، فإن هذه العمليةَ سوفَ تُساهِم في رفعِ مُستواهُ العَقليُ، وكذلِك سوفَ تُقويَ فيه غريزةَ التفكُرِ وتُثبتُ في عقلهِ مسألةَ التَرجيحِ والمُقارنةِ ويتَخِذُها مَنهَجاً يُطبِّقُهُ في كُل مَفاصِلِ حياتِه.

الأسلوبُ الثالثُ: تَسليطُ الضوءِ على الظواهرِ الإجتماعيةِ السَلبيةِ: في كُل فَترةٍ يتمخَضُ المُجتمعُ عن ظواهِرٍ سَلبيةٍ

تأخُذُ حيزَها في المُجتمعِ سواءٌ أكانت هذه الظواهرُ وليدةَ ظروفٍ إجتماعيةٍ إو إنها مُستوردةٌ مِن خارجِ بيئةِ ذلك المُجتمعِ، فيُبينُ رَبُّ الأُسرةِ لأُسرَته هذه الظواهرَ ويوضِحُ أضرارَها وما تُؤدي إليه من سِلبياتٍ في حياةِ الفردِ، ويُبينُ لهم أيضاً السُبُل الفعالةَ لتَجَنُبِها؛ حينها سيكونُ قد حَصنَ أُسرَتَهُ مِن أضرارِ هذه الظواهرِ، وجَعلَ مِنهُم دُعاةً وناصحين لغيرِهم بتجنُبِ هذه السلبياتِ.

إن أغلبَ الطُرقِ التي يتَبِعُها أكثرُ أربابِ الأُسرِ في تَحصينِ أُسرِهم مِن المَخاطرِ الخارجيةِ قائِمٌ على أُسسٍ رَكيكةٍ، حيثُ تَجِدُ رَبَّ الأُسرةِ يفرضُ على أُسرتِه بعضَ التَصرفاتِ التي يَراها مُناسِبةً لتحصينِهم، فحينَما يَرى أحدَ أبنائِهِ مُصاحِباً لشخصٍ سَيئٍ فإنَّهُ يَمنَعهُ من مصاحبتِه بالفرضِ والإكراهِ، وهذهِ الأساليبُ الإكراهيةُ غالِباً ما تَبوءُ بالفشلِ، ففي المثالِ أعلاه قد يُخالِفُ الإبنُ إرادةَ أبيهِ، لأنه إما أن يَترُكَ صَديقهُ أو يُخالفَ أباهُ، وقد يَرى إنَّ تَركَ صَديقهُ أشدُ على نفسهِ من عصيانِ أبيهِ، وهذا قد يَفتَحُ بابَ العملِ بالخَفاءِ والذي سيُضعِفُ رابِطةَ الأُسرةِ، وقَطعاً... إنْ إكتَشفَ الأَبُ أن إبنهُ عصَى أمرُه - فسيُزيدُ ذلك الطينَ بِلةً - وسيُعاقِبُ الإبنَ عقوبةً تَزرَعُ

في قلبِه الغيضَ مِن أبيه. وقد جَربَ كثيرٌ مِن أربابِ الأُسَر ذلك حتى خَرجَ أبنائُهم عن طاعتِهم بالكاملِ.

إن تَجَنبَ هذهِ المشاكلَ والخروجَ مِن بوتَقتِها يَكمِنُ في القسمِ الثاني وهو:

التَحصينُ مِن المَخاطرِ الداخليةِ

وأعني بها صفاتَ وتَصرفاتَ الفردِ نَفسهِ، فإن أيَ فَردٍ حينما يَخرِجُ من بيتِه سيتَصرفُ وِفقاً لصِفاتِه الداخليةِ وسَجاياه النَفسيةِ، فإذا حَصّنتَ الأفرادَ صِفاتياً وزرَعّتَ فيهم أهدافاً ساميةً، فإن ذلك سينعكِسُ على شَخصيتِهم الخارجية، فحينما يَخرجُ إبنكَ إلى الشارعِ ستكونُ كُل أفعالِه وكُل ردودِها مُناسبةً ومساوقةً لصفاتِه الداخلية، وما يُخالفُ تِلك الصفاتِ سيبتَعِدُ عَنها تِلقائياً.

حينما يَزرَعُ رب الأُسرةِ في نفوسِ أُسرتهِ مَفهومَ النُصحِ ويَطلِبُ مِن إبنَهُ أن يَنصحَ أصدِقاءَه بكذا أمرٍ أو يُعلِمُهم كذا تَصرفٍ فسيخرجُ الإبنُ إلى الشارعِ وهو يَحمِلُ هَدفاً وغايةً، وحينما يَبدأُ بِنُصحِ أصحابِهِ وتعليمِهم الخير والصلاح وغيرها من المعاني الساميةِ فسوفَ يَتجنبُ بذلكَ الخطأَ ويَبتعِدُ عن أفعالِ السوءِ، حتى وإن كان أصدِقاءُه يَفعلونَ تِلك الأفعالِ، لأنه سوف يَخشى أن تَسقُطَ

صورتُه في أعيُنِهم بل إن أصحابَهُ أنفُسُهُم سيتجنبونَ الأفعالَ السيئةَ أمامَهُ، حينها تكونُ قد حَصَّنتَ إبنَكَ دونَ فرضٍ أو إكراهٍ.

حينما تُقنِعُ إبنَكَ بأن يكونَ هو القائِدُ أو المَرجِعُ لأقرانِه، وتُعلمُه كيفيةَ أن يكونَ قائداً ومرجعاً لهم في مشاكلِهم وإحتياجاتِهم، فسوفَ يَتجنبُ كُلَّ فعلٍ يَخدِشُ تلك الصورةَ التي يُريدُ رَسمَها أو إنه رسمَها في مُخيلَتِهم.

التعاملُ بين الزوجين

إن العلاقةَ بين الزوجينِ هي مَن تُقرِرُ جَعلَ المنزلِ نعيماً أو جحيماً. لذا لابدَ مِن التعاملِ الصحيحِ بينَ الزوجينِ بما يَضمنُ قضاءَ أيامِ حياتِهما المُشتركةِ براحةٍ وهدوءِ بالٍ، وكذلك تُجنِبُ المخاطرُ التي تُهدِّدُ كُلَّ ما بَنوهُ في رحلتِهما المُشتركةِ.

ويتحققُ التعامُلُ الصحيحُ الناجحُ بين الزوجين بخطوتينِ فقط وهُما:

الخطوةُ الأولى: أن يتقبلَ الزوجان أحدَهُما الآخر كما هو، فيرضى بصاحبِه على كمالاتِه ونواقصِه، ولا ينزَعجُ من النقصِ الذي في زوجِه، وإنما يتعايشُ معه على إنه أمرٌ واقعٌ كالمرضِ المُزمِنِ!!.

الخطوةُ الثانية: العملُ بالقدْرِ المُتيسرِ على تَغييرِ كُلِّ فعلٍ أو صِفةٍ أو عادةٍ تكونُ مُهدِدَةً للعلاقةِ الزوجيةِ، فيعملُ الزوجانِ على تغييرِ الصفاتِ والتصرفاتِ المُولدَّة للمشكلاتِ أو التي تُهدِّدُ حياتهما الزوجيةِ، ومن الجانبِ الآخرِ يُحاولُ كُلُّ واحِدٍ منهُما أن يُصحِحَ أخطاءَ الآخرِ

بصورةٍ غيرِ مُباشرةٍ وبأسلوبٍ غيرِ جارحٍ مِن خلالِ إتّباعِ الأساليبِ اللطيفةِ وغير الجَليةِ . طبعاً بدافعِ محبتِهِ للآخرِ. حيثُ أن إهداءَ الزوجةِ كتابٌ لزوجِها يتحدثُ عن الغضبِ ومساوئهِ هو ألطفُ وأكملُ من أن تَذُمَ وتَنتقِدَ غضبَهُ ! ثُمَّ، إن الزوجَ أو الزوجةَ هو رَبُّ أُسرَةٍ، وهذا يُحتِمُ عليه أن يكونَ أكملَ من بقيةِ أفرادِ أُسرتهِ، أي أكملُ ممِن سيُرَبيهِم، لذلكَ فإن تَكميلَ صفاتِه يُأهِلُه للنجاحِ بمسؤولياتِه، وإنَّ خيرَ من يكشُفُ له محاسنُه ومساوئُه هو زوجُهُ لأنه ألصقَ الناسِ وأعرفَهُم بهِ , فإن إستطاعَ أحدُ الزوجين أن يَطلُبَ من زوجِه بيانَ نقائصهِ على وجهِ الحَقيقةِ فقد بَلغَ مَبلغاً عظيماً.

الإختلافُ المرتبي بين الزوجينِ

أغلبُ الأزواجِ بينهم إختلافٌ من جهةِ المستوى العامِ، فقد يكونُ الزوجُ أذكى من الزوجةِ أو قد تكونُ الزوجةُ أكثرَ إيماناً من الزوجِ وهكذا، حيثُ أن هذا التفاوتَ في المستوى العقلي أو النفسي أو الثقافي أو العلمي أوغيرِه قد يدفعُ أحدَهما إلى محاولةِ جعلِ الآخر مُماثلاً له، فمثلاً حينما تكونُ الزوجةُ حائزةً على مؤهَلٍ جامعيٍ تجد إنها تُريدُ لزوجِها أن يكون لديهِ نفسُ المؤهَلِ، فتَحِثهُ على الدراسةِ لأجلِ ذلك، أو قد يكونُ الزوجُ فناناً فتراهُ يَحِثُ زوجتَه أن تَصيرَ مِثلَهُ، وهذا قد يكونُ مُشكِلةً أكثرُ مِنه رابطاً، حيثُ أنَّ المستوى الكمالي العامَ للفردِ حاكِمٌ على إمكانياتِه ورغباتِه, فما يَقدرُ الزوجُ على فعلهِ قد تَجدُ الزوجةُ صعوبةً بالغةً فيه، وما تَرغبُ به الزوجةُ قد يَمقتُهُ الزوجُ ولا يُطيقُهُ، لذلك، ولأجلِ دوام إستمرار الحياةِ الزوجيةِ ، يَنبغي أن لا يُكلف الزوجُ زوجَهُ بتكليفه وإنما كلٌ يعملُ على قدرِ إمكانياتِه، وقد شاهدتُ الكثيرَ من ذلك في فترةِ مَشيخَتي الباطنيةِ، ففي إحدى المراتِ . وهُنَّ كثيراتٌ . أدخَلتُ أحدَ طلبَتي لمقامِ التوكُلِ وقد

تَعايشَ مع المقامِ وتَحَققَ به جيداً لكني تفاجأتُ أنهُ يُرغِبُ زوجتُه - وهي مِن أهلِ الظاهرِ- بدخولِ مقامِه والذي يَبعُدُ عن مستواها عَشراتِ السنينِ. نعم، هو نابعٌ من المحبةِ والعاطفةِ لكنه سوفَ يُهلِكُها مِن حَيث يُريدُ نجاتَها!، فيَنبغي أن يُؤخذَ مُستوى قابليةِ ورغبةِ الآخرِ بعينِ الإهتمامِ.

الطرقُ الصحيحةُ لتلافي حدوث المُشكِلاتِ المنزليةِ

أغلبُ الأُسرِ تَحدِثُ لديها مُشكلاتٍ تَختلفُ بينَ صَغيرةٍ وكَبيرةٍ وبعضُها يَقصِرُ والآخرُ يَطولُ أمدُه، وبطبيعةِ الحالِ ليس مِن عائلةٍ تُريدُ المُشكِلات وتَسعى إليها، وإنما تحدثُ المُشكلاتُ بسببِ أخطاءٍ أو سوءِ تَصرفٍ أو سوءِ مُعالجةٍ لإشكالاتٍ مُعينةٍ، فكثيرٌ من المشكلاتِ العائليةِ تَحدثُ لأسبابٍ تافهةٍ، وتَنشأُ من أمورٍ بسيطةٍ جداً، وبسبب التفاعِلُ الخاطئ مع المشكلةِ الصغيرةِ. في محاولةٍ لحلِها تتعاظمُ المُشكلةُ حتى تَخرُجَ عن السيطرةِ، ولو أنها تُرِكت بدونِ حلٍ لذابَت وأنتَهت تِلقائياً!.

فما هي الأسبابُ الحقيقيةُ للمُشكِلات المنزليةِ؟

حَسَب فهمي وتَتبعي وخاصةً للمُجتمعِ الذي أعيشُ فيه، فإن المُشكِلاتِ تَنشئُ من أمورٍ مِنها:

أولاً: حينما يُصبحُ الكبيرُ صغيراً في دورِهِ فإن ذلك سيُساهَمُ في خلقِ المُشكِلاتِ. فمثلاً: إذا تعامَلَ الأب، وهو

الكبيرُ في الأُسرةِ الذي يتحتَمُ عليه أن يستوعبَ من هو أصغرُ منه ويُداري صغرَهُ ،مع خَطأٍ صَدرَ من زوجتهِ، التي يُفترَضُ إنها أصغرُ مرتبة منهُ حَسبَ المِثالِ وليسَ واقِعاً!، أقولُ: إذا تعاملَ بنفسِ مُستوى الزوجةِ مع ذلك الخطأ، فإن الخطأ سَيجِدُ الأرضَ الخَصِبةَ ليتحولَ الى مشكلةٍ، فلو أن الكبيرَ حافظَ على كِبَرِه لأستوعبَ الخطأَ وتَرفعَ عنه وعن التفاعُلِ مَعه.

ثانياً: غيابُ العقلِ وتَصدّرُ النفسِ: وبيانُ ذلك: أن الخطأَ أو مُسبباتِ المُشكلةِ، حينما تَحدثُ في المنزلِ، فإنَ المرءَ يَستقبلُها أما بعقلهِ أو بنفسهِ، فإن أستقبلَها بنفسهِ، فسوفَ يُسببُ هذا الخطأُ إنفعالاتٍ نفسيةً، حينها وبإتخاذِ القرارِ على أساسِ تلك الإنفعالاتِ ستتولدُ المشكلةُ، لأن التفاعُلَ النفسي مع الأخطاءِ يُولِدُ مزيداً من الأخطاءِ.

وقد تَتفاقمُ بَعضُ المُشكلاتِ وتَخرجُ عن حدودِها، فمثلاً، لو أن إبنَك أخطأَ في تَصرفٍ ما وتفاعَلتَ أنتَ مع الخطأِ بالغضبِ أو برغبةِ الإنتقامِ أو أي أثرٍ نفسيٍ آخر، فإنكَ بذلك سوفَ تُعقِدُ الخطأَ في نفسِ الإبنِ مما يَضطَرهُ إلى إتخاذِ ردّةِ فِعلٍ نفسيةٍ أيضاً، وهنا ستتضاعَفُ المُشكِلةُ

وقد تَخرجُ عن السيطرةِ، وهذا التَصرُفُ أدى الى كوارثٍ في بعضِ الأُسر ومِنها بعضُ حالاتِ إنتحارِ الأبناءِ والتي نشهدُها بِكثرةٍ هذه الأيام للأسفِ الشديدِ.

أما لو إستَقبلَ رَبُّ الأُسرةِ أيَّ حَدثٍ بعقلهِ فإن عقلَهُ سوفَ يَبحثُ تلقائياً عن الطريقِ الأنسبِ لمُعالجةِ الخطأ والخروج عن تأثيرِه، وقد يخرجُ بعدةِ حلولٍ مُناسبةٍ، ويَتلافى حدوثَ المُضاعفاتِ التي تَنشأ من التفاعلاتِ غيرِ المُناسِبةِ مع الأخطاءِ.

ثالثاً: كذلك مما يُولِدُ المُشكِلاتُ الأُسريةُ هي: الأنانيةُ، وأعني مِنها أنانيةُ رَبُّ الأُسرةِ، فحينما يَجعلُ رَبُّ الأُسرةِ مَصلحتَهُ فوقَ مصلحةِ أُسرَتِه، فسوفَ تَتولدُ المشكلاتُ الأُسريةُ.

فكَثيرٌ من أربابِ الأُسرِ يَتوهمُ أن موقعَهُ مِن الأُسرةِ يُعطيهِ خصوصيةً لا يَنبغي لأحدِ أفرادِ أُسرَتِهِ أن يُشاركَه فيها، فيجبُ أن يَحصُلَ هو على الأفضلِ دائماً، ويجبُ أن يُعامَلَ مِن الكُلّ مُعاملةً خاصةً وغيرَ ذلِكَ، فإن مُسّتْ هذه الخصوصيةُ المُدّعاةُ فسوفَ يَبدَأُ رَبُّ الأُسرةِ بخلقِ المُشكِلاتِ لأجلِ إرجاعِ خصوصيَتِهِ، فيُعاقِبُ ويُسيءُ في القولِ والفعلِ، وقد يَجعلُ المنزِلَ جَحيماً، بسبب

التقصيرِ في حُقوقِه.

وهذا ناشِئٌ عن الجهلِ الكبيرِ الذي يعيشُهُ رَبُّ الأُسرةِ سواءٌ كانَ الأبَّ أو الأُمَّ.

نَعم، إن مقامَ رَبُّ الأُسرةِ له خُصوصيةٌ، لا شكَ في ذلكَ، لكن ليسَت تلك الخصوصيةِ الوهميةِ المُدّعاةِ! إنما خصوصيةُ ربُّ الأُسرةِ وما يَفرِضُه موقِعهُ هو الإيثارُ والتضحيةُ وليسَ الإستغلالُ والتسلُطُ، فواجِبُ رَبُّ الأُسرةِ هو أن يُضحيَ بمصلحتِه لأجلِ مَصلحةِ قضيتِه، ألا وهيَ أُسرتُه، فيأكُلُ أدنى الطعامِ ويَتركُ أفضلَهُ لأُسرتِه، ويضحي براحتِهِ لأجلِ راحةِ أُسرتهِ، وهذهِ هي مسؤوليةُ رَبُّ الأُسرةِ مِنَ الإيثارِ والتضحيةِ، وليسَ العكسَ، ثُم إن التضحيةَ بمصالحِهِ لأجلِ مَصلَحةِ أُسرَتهِ ليس تَفضلاً مِنه، بل هذا ما يوجِبُه مَقامُه الذي إختارهُ بإرادتِه. فيجبُ أن يَعي الآباءُ حدودَ مسؤوليتِهم جيداً، فحينما يُقَدَّمُ الطعامُ الكثيرُ أو الأفضلُ للأبِّ مثلاً ويُقدمُ القليلُ للأبناءِ، يَنبغي على الأب، حينها، أن يرفُضَ ذلِك، وحينما تُقدِّمُ الأمُّ طعامَ الأبِّ قَبلَ الأبناءِ يَجبُ على الأب، حينها، أن لا يَقبلَ ذلك بل لابُدَّ أن يكونَ أولُ المُقدمين وآخِرُ المُستفيدين، ومِن هُنا نستطيعُ أن نقيسَ نسبةَ

الإنحرافِ الأُسري الذي نَحنُ فِيه.

رابعاً: مِن مُسبباتِ المُشكلات أيضاً: غريزةُ حُب التسلطِ أو حُب السيطرةِ :

كُل قائدٍ أو مسؤولٍ يميلُ الى السيطرةِ على رعيتِه لأجلِ أن يُسيّرَ أمورَها بإنسيابيةٍ تامةٍ وبدِقةٍ كامِلَةٍ، وهذا من ضمنِ حقوق القائدِ أو المسؤولِ لضمانِ نَجاحِ مسؤوليتِه.

لكِنا نسألُ: هل هذه السَيطرةُ أو التَسلطُ لها حدودٌ ؟ أم إنها مُطلَقةٌ؟ وللقائِدِ أن يصِلَ إلى أقصاها؟ جوابُ ذلكَ: حَسب النظرةِ العُقلائيةِ والتجاربِ المُعاشةِ فإن التَسلطَ التامُ يَخلِقُ الجبابِرَة، ويَهُونُ معه الظلمُ والتجاوزُ على حقوقِ الآخرين، لأن التَسلطَ التامَ هو سَلبُ إرادةَ الآخرِ وإحلالُ إرادةَ المُتَسلطِ بدلَ إرادةَ الآخرِ، حينها، سَيمحو جُزءاً كبيراً من وجودِ رعيتِه، فيَمحو آمالَهم وإراداتَهم وأحلامَهم، ويتحولون الى مُسيرين لتحقيقِ غاياتِ المُتَسلطِ، وهذا من أشدِّ أنواعَ الظُلمِ، بل لن يُنتِجَ أيَّ نتيجةٍ إلا التَباعُدَ الفعلي بينَ القائدِ ورعيتِهِ أو بينَ رَبِّ الأُسرةِ وأُسرتِه.

أما مَسالةُ السيطرةِ على العائلةِ، فمن خِلالِ مَسيري في عالمِ التربيةِ: وجدتُ أن السيطرةَ محضُ وهمٍ وليس لها

أيُّ وجودٍ في عالم الإنسانِ! ومَن يَعتقِدُ إنهُ مُسيطرٌ على رعيتِه أو عائلتِه فقد تطرَّفَ في الحماقةِ!! فمَن ليسَ له السيطرةُ على إخراجِ الريحِ من بَطنِه فهو أعجزُ مِن أن يُسيطرُ على غيرِه!!!.

بَعضُ أربابِ الأُسرِ يُريدونَ أن يكونوا همُ المُسيطرين على أفرادِ أُسرِهم بحيث لا يفعلون فِعلاً إلا بموافقتِهم وإستشارتِهم، وحينّما يتصرفُ فردٌ من أُسرتِهم دونَ الرجوعِ إليهم (الأبُّ أو الأُمُّ) يَعتبِرُ رَبُّ الأُسرةِ ذلك إنتهاكاً لحدودِهِ وتَجاوزاً على سُلطتِه، فيُحاسِبُ ويُعاقِبُ، ويأخُذُ إجراءاتٍ إحترازيةً لكي لا يَتكررُ ذلِكَ الفِعلُ، وما كُل ذلِك إلا لتعلُقهِ بوهمِ حُبُّ السيطرةِ.

ولتجنُب ذلِكَ المرَضَ والخروجِ من آثارِه السلبيةِ يَنبغي على رَبِّ الأُسرةِ أن يَخطو الخُطوّاتِ التالية:

الخطوةُ الأُولى: إعطاءُ مساحةٍ مُعتدٍّ بها لأفرادِ الأُسرة، وأعني بها مساحةً في الخطأ، فليس بمقدورِ رَبُّ الأُسرةِ أن يَدفعَ الأخطاءَ عن أُسرَتِهِ، ولو فرضنا إنه تَمكن مِن ذلك فسوف يَحرمُهم فوائِدَ الخطأِ ورؤيةَ ما وراءِه، لهذا يجِبُ أن يُعطى أفرادُ العائلةِ مساحةً للتحرُكِ لأجلِ أن تُصاغَ شخصيتُهم من خلالِ التجاربِ بنجاحاتِها وإخفاقاتِها.

الخطوةُ الثانيةُ: ليس بالضرورةِ أن يكونَ الأكبرُ سِناً هو الأفهمُ والأذكى والأدرى، فقد تَخرجُ فِكرةٌ من فمِ طفلٍ لن يتوصلَ لها الكهلُ طوالَ حياتِه، وعليه فإن رَبَّ الأُسرةِ الناجِحُ هو من يُزيلُ الموانعُ عن أفرادِ أُسرتِه ويُمهدُ لهم الطرُقَ لأجلِ أنْ يُعبِّروا عن أفكارِهم وآرائِهم، ولا يستهينُ بفكرةٍ مهما كانت تافهةً في نَظرِهِ أو غيرَ مَنطِقيةٍ، فمَن تعمّقَ في عالمِ الفكرِ سيتَيقنُ أنه ليس ثَمةُ أفكاراً تافهةً أو خاطِئةً بل إنَّ كُلَّ فكرةٍ تناسبُ مرتبةً عقليةً مُعينةً ،ثم أنَّ الوصولَ للفكرةِ المُناسبةِ للمقامِ لا يكونُ إلا بعدَ المرورِ بالأفكارِ الأدنى.

إنَّ السيطرةَ الحقيقيةُ هي التي تنبعُ من إحترامِ الرعيةِ أو الأُسرةِ للراعِي وليس مِن خلالِ الترهيبِ والتعذيبِ، فحينما يَظهَرُ الأبُّ أو الأُمُّ بصورةِ ذلك المُضحي لأجلِ أُسرتِه، المُقدِمُ لمصلحتِهم على مصلحتِه، ويرونَ ذلك مِن خلالِ أفعالهِ ونصائحهِ. التي يَتبِعُ أهونَ السُبُلِ لإيصالِها- فإني أعتَقِدُ أنَّ أُسرَتَهُ ستعتبِرُه مرجِعَهم الأمثل، وسينظرون لكل ما يَصدرُ عنه بعينِ الإهتمامِ والإحترامِ.

طُرقُ معالجةِ المُشكلاتِ الأُسريةِ

تكلمنا عن كيفيةِ تلافي المُشكِلاتِ الأُسريةِ قبلَ وقوعها، لكن لو وقعَت هذهِ المُشكِلاتُ ،فكيف نتعاملُ معَها؟ وما هي الطُرقُ العامةُ الصَحيحةُ لمعالجتِها؟.

نَقولُ: إن أهمَ الطُرقِ لمُعالجةِ المُشكِلاتِ الأُسريةِ والسيطرةَ عليها كي لا تتوسعَ وتخرُجَ عن سيطرةِ رَبُّ الأُسرةِ هي ما يلي:

أولاً: الإعتقادُ بأنَّ المُشكِلةَ حالةٌ طارِئَةٌ لها أمدٌ محدودٌ تَنتهي إليهِ، ثُم يعودُ الوضعَ كما كان عليه. فكُل ما يَحدثُ من المُشكِلاتِ سواءٌ عالجناها أو لم نُعالجْها فسوفَ تنتهي، سواءٌ طالت فترتَها أم قَصُرَت.

ثانياً: تَحديدُ المُشكِلَةِ وتَحجيمِها، بحيث لا تَتعدى الحدودَ التي حُدِدت بها ولا تتمددُ وتَخرِجُ عَنها.

ثالثاً: تَوجيهُ النظرِ إلى علاجِ المُشكِلةِ وغضُ الطرفِ عن مُلازماتِها الجانبيةِ مِن قَبيلِ :مَن الذي سببَّها؟ وما حجمُ أضرارِها؟ وما هي آثارُها؟، فإن النظرَ إلى هذهِ الزوايا

يُسبِبُ إرباكاً عقلياً ويؤدي للإبتعادِ عن الحلِّ المُناسبِ للمُشكِلةِ.

رابعاً: إنَّ كُلَّ مُشكِلةٍ، مَهما كان حجمُها أو نوعُها وما تُسببُهُ مِن ضررٍ وألمٍ، فإن لها عَطاءٌ وفائدةٌ، ولو تدبرَّ أحدُنا بالفوائدِ التي تَحملُها المُشكِلةُ فلرُبما هانت لديهِ تلك الآلامُ والأضرارُ.

وحينَما نَنظرُ لأيةِ مُشكلةٍ مِن جهةِ فائدتِها فإنَّ هذهِ النظرةَ سوفَ تُولِدُ سكوناً نفسياً وتُزيلُ كُلَّ الإضطرابِ الداخلِي، وبالتالي الوصولُ للحلولِ بأسرعِ وقتٍ، لأنهُ، وكما تَعلمونَ، إنَّ مِن أسبابِ تَوسُعَ المُشكِلاتِ والمعالَجةَ الخاطئةَ لها، هو الإرباكُ العقلي الذي تُسببُهُ المُشكِلَةُ.

خامساً: إستقبالُ المُشكلةِ إستقبالاً عقلياً. فإنَّ مِن طبيعةِ الإنسانِ الظاهري هو إستقبالُ أغلبُ الأحداثِ, ومنها المُشكِلات, إستقبالاً نفسياً أو عاطفياً. ومِن الثابتِ تجريبياً إن إستقبالَ المشكلات نفسياً أو عاطفياً سيؤدي إلى التفاعلِ السِلبي معَ المُشكلَةِ، فإما تُثيرُ الغضبَ أو الخوفَ أو التردد أو تُثيرُ العاطفةَ، والتي كُلُّها سوف تُطفئُ نورَ العقلِ وبالتالي سيكونُ التعاملُ معَها مولِداً

لمُشكلَةٍ أُخرى، أما إذا إستطاعَ الإنسانُ أنْ يَعزُلَ نفسَهُ وعواطِفَهُ حينَ الحدثِ ويستقبلُ المُشكِلةَ بعقلِه ومداركِه فسوفَ يتَجِهُ عقلُهُ تلقائياً لإيجادِ الحلِّ المُناسبُ بهدوءٍ تامٍ وبوقتٍ قَصيرٍ.

تقويةُ الروابطِ الأُسرية

أيُّ رابطٍ مادي كان أو معنوي، إن طالَ به الأمدُ سيكونُ مُعرضاً للإرتخاءِ والضُعفِ ثُم الإضمحلالِ، لذلِكَ ينبغي العملُ على إدامةِ هذا الرابطَ لضمانِ بقائهِ وذلك عبرَ الأساليبِ والطُرقِ المُناسبةِ، ومن هذه الروابط الرابطُ الأُسريُ او قُلْ مَجموعةَ الروابطِ الأُسريةِ، كرابِطِ القُربِ، ورابطِ المحبةِ، ورابطِ العاطفةِ، ورابطِ الإحترامِ، ورابطِ تقديمُ الأصلح وغيرَها مِن الروابطِ التي تُبقي الأُسرةَ كُتلةً واحدةً.

فمِن واجباتِ رَبُّ الأُسرةِ وكذلكَ بقيةُ أفراد الأُسرةِ المُدركين، المحافظةُ على ديمومةِ الروابط الأُسريةِ عن طريقِ تقويتَها بإستمرارٍ وإستحداثُ الطُرقَ التي تؤدي إلى ذلِك، وأيضاً تجنيبُها المشاكلَ التي تؤدي إلى إضعافِها، والمَعني بذلك بالدرجةِ الأُولى هو رَبُّ الأُسرةِ ، حيثُ يكونُ لديه المقياسُ أو النظرةُ التي يَرى مِنها حالةَ روابطِ الأُسرةِ إن أصابَها ضعفٌ أو أصبحَ هنالِك تباعِدٌ بين أفرادِها، فيُبصِرُ ما يَحصلُ في رعيتهِ ثم يضعَ العلاجاتِ المُناسِبةَ

MESSAGE | IN HOME POLICY

لتلافي ما يحصلُ مِن أضرارٍ، وهذا لا يعني أن يَقتصِرَ رَبُّ الأُسرةِ على الإسلوبِ الدفاعي، وإنما يبتدِعُ ويستَحدِثُ طُرقاً تجعلُ العلاقةَ الأُسريةَ بتطورٍ وتَعمقٍ مُستَمرٍ، على أن تكونَ هذه الطرقُ ملائمةً للمرحلةِ التي تعيشُها العائلةُ لا أن يَفرضَ عليهم طُرقَ مرحلتِه السابقةِ ويريدُ أن يُطبقَها على جيلٍ بَعُدَ كُلَّ البُعدِ عن قواعدِ وأسُسِ تلك الطُرقِ، نَعم بعضُ الطُرقِ العامةِ قد تُناسبُ أكثرَ مِن مرحلةٍ فلا بأسَ بالعملِ بها وليسَ الإقتصارُ عليها. ومِن أمثلةِ الطرق المناسبةِ لأغلبِ الأُسرِ:

أولاً: الإجتماعاتُ العائليةُ: أثبتَت التجاربُ أنَّ الاجتماعاتِ في الأُسرةِ الواحدةِ لها دورٌ كبيرٌ في تقويةِ أواصرَ الأُسرةِ وتعميق العلاقةَ بين أفرادِها، حتى وإن كانت هذه الإجتماعاتُ متباعدةً كمرةٍ واحدةٍ في الشهرِ، والاسبوعيةُ أفضلُ أكيدٌ.

أما طبيعةُ هذه الإجتماعاتِ فلا أنصحُ بتقييدها بآليةٍ محددةٍ، وإنما تكونُ جلساتٍ عامةً شاملةً لكُلِّ شيءٍ، من قبيلِ أن يُطرحَ موضوعٌ ويُناقَشَ مِن قِبَلِ كُلِّ أفرادِ الأُسرةِ، أو تُطرحَ قَضيةٌ تَهُمَّ صالِحَ العائلةِ, والمَطلوبُ أن يُتخذَ قرارٌ بمشاركةِ كُلِّ أفرادِ العائلةِ، أو يُطلَبُ مِن كُل

فردٍ أن يَطرحَ موضوعاً ما, وحَسب ما يراهُ هو، وهكذا، فالأساسُ والغايةُ هو الإجتماعُ وقضاءُ الوقتِ مُجتَمِعين وأما الفائدةُ العلميةُ أو العقليةُ فتأتي بالدرجةِ الثانية.

ثانياً: ينفعُ في تقويةِ الروابطِ الأُسريةِ تأسيسُ مَجموعةٍ (كَروب) على مواقعِ التواصلِ الإجتماعي للعائلةِ خاصةً من قبيلِ. مجموعةِ واتس آب أو فايبر أو غيرها. وتشملُ كُل أفرادِ الأُسرةِ المُدرِكين، وتُطرَحُ في هذه المجموعةِ كُلُّ النشاطاتِ المُمكِنةِ سواءٌ الجادةَ مِنها أو المُسليةَ.

ثالثاً: إيجادُ مشاريعٍ مُشتركةٍ يُشاركُ فيها كُلُّ أفرادِ الأُسرةِ أو بَعضُهم مِمن لهُ القدرةُ على المُساهمَةِ في ذلِك المشروعِ ثُم إيجادُ مشروعٍ يُناسِبُ الأخرينَ، وهذه المشاريعُ قد تكونُ تجاريةً أو عِلميةً أو تَخصُ تطويرَ المنزلِ أو مشروعاً إنسانياً لمُساعدةِ المُحتاجينَ وغير ذلِك مِن الأمثلةِ. فحينما تَشترِكُ العائلةُ بمشروعٍ واحدٍ ويواجِهونَ كُلَّ مُلابَساتِ وتَحدياتِ المشروعِ سَوياً فإنَّ ذلك سيوصِلُ العلاقةَ إلى درجاتٍ عَميقةٍ جِداً وشامِلةٍ.

رابعاً: التسليّةُ واللعبُ المُشتركُ. رُبما هذه النقطةُ تنفعُ من هُم بسنِ الطفولةِ، وإن كانت التسليةُ في الوقتِ

الحاضرِ لا تَقتصرُ على الأطفالِ بل أصبحَ البالغونَ ميالين للّعبِ والتَسليّةِ، وعليهِ فلا بأسَ أن يَجتمِعَ أفرادُ العائلةِ في تَسليةٍ مُعينةٍ، مِن بابِ تغييرِ الحالِ لدى الكِبارِ واللهوِ لدى الأطفالِ، فحينما يلعبُ الطفلُ مع أخيهِ أو أبيهِ فذلك يَعني إنهُ يَقضي أجملَ لحظاتِ حياتهِ معهُ، وهذا معناهُ زيادةٌ في توطيدِ العلاقةِ وزيادةٌ في عَددِ الذكرياتِ التي تَجمعُ العائلةَ.

وعلى رَبِّ الأُسرةِ البحثُ عن الطُرقِ المُتجددةِ في تمتينِ عِلاقةُ أفرادِ الأُسرةِ، فذلِك مِن جوهرِ مسؤوليتهِ.

الافـراطُ العاطـفيُ

مِن التصرفاتِ السِلبيةِ التي تُساهمُ في تشتتِ الأُسرةِ، هو التعاملُ العاطفيُ الزائدُ مِن قِبَلِ الأبوينِ، فمِن غريزةِ المحبةِ لدى الأبوينِ تِجاه أبناءِهما تتولدُ العاطفةُ، والتي إن زادَت عن حدِها خَلّفت آثاراً سِلبيةً في تربيةِ وتقويمِ الأُسرةِ.

ففي الكثيرِ مِن مواطنِ الإصلاحِ أو تقديمِ الأَولى للأُسرةِ، قد تَقِفُ العاطِفةُ حائلاً في طريقِ تَحقيقِ تِلكَ المصالحِ، فحينما يحتاجُ الأبناءُ إلى درجةٍ من درجاتِ الضغطِ النافِعِ في بناءِ شخصيتِهم، وتَقفُ عاطفةُ الأُمِّ أو الأبِّ مانعاً عن تحقيقِ ذلك، فإنهم بذلك قد أضَروا بأبنائِهم، حينها نكونُ قد أفسَدنا مِن حيثُ نُريدُ الإصلاحَ! وقد رأينا الكثيرَ مِن الأبناءِ الذين بَلغوا مَبلغَ الرجالِ ومازالوا أغرَاراً لا يَقدرون على شيءٍ، والسببُ هو عاطفةُ الأبوينِ التي مَنعت تَكليفَ الأبناءِ بما يُناسبُ قدرتَهم، وبالتالي سوفَ نُنشئُ جيلاً هزيلاً عالةً على غيرِه.

لذلكَ على الأبوين أنْ لا يَجعلا العاطفةَ خارجةً عن نطاقِ

وسلطانِ العقلِ، إنما يُعمَلُ بالعاطفةِ حينما يَرى العقلُ الحاجةَ لذلك، وليس أن تُطلَقَ العاطِفةُ إطلاقاً أعمى، فإن الصعوباتِ هي مَن تَبني الرجالَ وتُخرِجُ إمكانياتَهُم الداخليةَ مِن حَيزِ القوةِ إلى حَيزِ الفعلِ، حينها سوفَ تُنشِئُ أبناءاً قادرينَ على مواجهةِ الدنيا ومُسايرَةِ أحداثِها، فلأجلِ تَجنُب أضرارَ العاطفةِ الأبويةِ يَنبغي أن تُعرضَ الأفعالُ العاطفيةُ على العقلِ، أي تُدرَسُ فوائدُ وأضرارُ الفعلِ العاطفي دراسةً عقليةً مجردةً، فإن حَكَمَ العقلُ بأصلحيةِ الفعلِ العاطفي فَعلناهُ، وإن حَكَمَ بخلافِه نَضغطُ على أنفسِنا ونُحَقِقُ حُكمَ العقلِ الذي يعني تقديمُ مصلحةَ الأبناءِ على مصلحةِ أنفسِنا، لأنَّ النظرةَ الواقعيةَ تقولُ: إنَّ تحقيقَ الفعلِ العاطفي هو لأجلِ دَفِع الألمِ المُحتملِ الذي قد يَتعرضُ له الأبوانِ حين مخالفةِ العاطفةِ، إذاً هو صادرٌ عن أنانيةٍ، فتدفعُ ألمَكَ على حسابِ مَصلحةِ إبنِكَ وتلكَ هي عينُ الأنانيةِ، ثُم لن تُخلِّفَ لكَ تلكَ العاطفةُ إلا ألماً مُستقبلياً حينما تَرى إبنكَ ضعيفاً ولا يَقدِرُ على مُجابَهةِ المُجتمعِ الذي يَعيشُ فيه.

التضحيةُ بالرغباتِ لأجلِ المحافَظةِ على كيانِ الأُسرةِ

الإنسانُ مَهما بَلغَ مِن رُتَبِ الكَمالِ فنفسُهُ باقيةٌ، وبقاؤُها يَستَلزِمُ بقاءَ الرغباتِ والشهواتِ، نَعم قد تتبدلُ رغباتُه حينَ الصعودِ مِن رغباتٍ دُنيا إلى رَغباتٍ عُليا، كتبدُلِ الرغبةُ بجمعِ المالِ إلى الرغبةِ بزيادةِ المعرفةِ، والعكسُ حينِ النزولِ فتتبدلُ رغباتُه مِن العُليا الى الدُنيا، كمَن تتبدلُ رغبَتهُ في طَلبِ المعرفةِ إلى طلبِ الشُهرةِ، وعلى ذلِك فالمُربي أو ربُّ الأُسرةِ لديه رغباتُه الخاصةُ والتي تتفاوتُ من شخصٍ الى آخرٍ بدرجةِ الإلحاحِ والضغطِ لأجلِ تحقيقِها، فرَبُّ الأُسرةِ . الأبُّ أو الأُمُّ . لديهِ رغباتهُ الخاصةُ التي تَطلبُ تحقيقَها في الخارجِ، وقد تتصادمُ هذهِ الرغباتُ تارةً مع رغباتِ أُسرتهِ، وتارةً مع مصالحِهم، وفي كِلا الحالين ينبَغي على رَبِّ الأُسرةِ حينَ التزاحُمِ بينَ رغباتِه ومصالِحِ أُسرتهِ أو رغباتِهم المعقولةِ أنْ يُقدِمَ مصالحَهم على رغباتِه، وهذه ضمنَ التضحياتِ المُلازمةِ لمسؤوليتهِ، نَعم المسالةُ فيها صعوبةٌ وفيها ضغطٌ نفسيٌ لكن يَنبغي على رَبِّ الأُسرةِ أن يُروِّضَ نفسَهُ على ذلكَ،

وإلا فإنَّ تَحقيقَ رغباتِهِ على حسابِ مصالحِ أُسرَتِهِ يعني تفكُكَ الرابطُ الأُسريُ وبالتالي ضياعُ تلكَ الأُسرةِ.

وهذا لا يعني أن لا يُحققَ رَبُّ الأُسرةِ بعضَ رغباتِهِ التي يحتاجُها لتخفيفِ ضغطِ المسؤوليةِ وتغييرِ أحوالَ نفسهِ وتَجديدِ عزيمته، وإنما نقصِدُ بالتضحيةِ برغباتِه حينَ التزاحُمِ فقَط، أما في مواطنٍ أُخرى فله أن يُحقِقَ رغباتَهُ المشروعةِ بحدودِها. ولقد رأينا بعضَ الآباءِ والأُمهاتِ حينما ينشغلُ برغبةٍ ما كتصفُحِ مواقِع التواصلِ الإجتماعي لأجلِ التسليّةِ أو مُشاهدةِ برنامجٍ تلفزيوني، يأتيهُ إبنهُ طالباً منه حاجةً، فتراهُ يُبعدُهُ او يُهمِلُهُ، وهذا ما يُولِدُ شرخاً في علاقةِ الإبنِ بأبيهِ. وحينما يتركُ الأبُّ أو الأُمُّ ما في يديهِ ويلتفِتُ لإبنهِ التفاتَ مُهتمٍ حينها سيُمَتِنُ الرابِطَ الذي بينه وبينَ إبنهِ، ويكونُ الملجأَ لإبنهِ في كُلِّ ما يحتاجُ إليه، حيثُ وَجدَ الإبنُ صدراً رَحِباً لإستيعابِ ما يحتاجُ إليه.

وهذه مسألةٌ مُهمةٌ قد يَراها بعضُ الآباءِ دونَ ذلكَ.

الغايةُ الأُسريةُ

لابُدَّ لرَبِّ الأُسرةِ حينما يُريدُ أن يُنشِئَ أُسرَتَهُ تَنشِئةً مُحددةً أن تكونَ له غايةٌ يَتغياها أو هَدفٌ يستهدفُهُ، وعلى أساسِ تلك الغايةِ تُوضَعُ البرامجُ والأدواتُ والأساليبُ، وإلا فإن التربيةَ دونَ غايةٍ ستكونُ فوضويةً ويَصعُبُ السيطرةُ عليها أو حَدِها بحدودٍ لا تتجاوزها.

وهذه الأهدافُ تارةً تكونُ جُزئيةً وأُخرى كُليةً، أعني بذلك، أمّا أن يضعَ رَبُّ الأُسرةِ هدفاً مرحلياً ينتَهي بتحقُقِ نتائجِهِ ثُم ينتقلُ إلى هدفٍ آخرٍ وهكذا، وتكونُ تلكَ الأهدافُ على حسبِ الإحتياجِ الكمالي للأُسرةِ. وأمّا أن يضعَ هدفاً واحداً عالياً ويكونُ هو محَطَّ نظرِه وغايتهِ ولا يَحِطُّ رِحالَهُ إلا في عَرصَةِ ذلِكَ الهدفِ.

ومِن جِهةٍ أُخرى، أمّا أن يكونَ الهدفُ، جَمعياً أو فردياً، وأعني بالجمعي أن يَتحِدَ كُلُّ أفرادِ الأُسرةِ بهدفٍ واحدٍ، كما لو إفترضنا أن غايةَ رَبُّ الأُسرةِ هي خلقُ أُسرةٍ ذاتَ ثقافةٍ عاليةٍ وشموليةٍ فيختارُ مجموعةً من البرامجِ التثقيفيةِ مِن كُتبٍ ومُحاضراتٍ ودروسٍ ورياضةٍ فكريةٍ،

ويُدخِلُ الجميعُ بهذا البرنامجِ، هذا في حالِ كانَ الهدفُ جمعياً.

وأمّا إن كانَ الهدفُ فردياً، حينها يتَطلّبُ دِراسةُ كُلَّ فردٍ من أفرادِ الأُسرةِ والوقوفُ على إمكانياتهِ وخصائصهِ التي يَمتازُ بها عن غيرهِ، فيَضعُ رَبُّ الأُسرةِ برنامَجاً لكُل فردٍ يَختلفُ عن برنامجِ الآخرِ، وبه يُنمّي إمكانياتِ كُلَّ فردٍ ويُغذي دوافِعَهُ الخاصةِ.

وأمّا أختيارُ الهدفِ أو الغايةِ فهذا يَرجِعُ حتماً إلى رَبِّ الأُسرةِ أو إجماعِ الأبوينِ إنْ كانا بنفسِ درجةِ الوعيِ والشعورِ بمسؤوليةِ الأُسرةِ.

ومِن هذهِ الغاياتُ والتي تَصلحُ لبناءِ الأُسرةِ عموماً هي:

الغايةُ الأولى: أن يكونَ الأبناءُ أفضلُ مِن الآباءِ، وهي غايةٌ شريفةٌ نَضمنُ معها التسلسلُ التكامُليُ للأجيالِ، حيثُ يكونُ الجيلُ اللاحِقُ أفضلَ من السابقِ، وهذه الغايةُ تتسقُ مَع الغايةِ التكوينيةِ.

وإتخاذُ هذه الغايةَ يوجِبُ على رَبِّ الأُسرةِ، أن يُجنِّبَ أفرادَ أُسرتِه الأخطاءَ التي وقعَ فيها ويُبعِدَ عنهم كُلَّ ما يُعرقِلُ مَسيرَهم، وكذلك أنْ يودِعَ فيهم أهم نتائجَ تجاربِهِ الحياتيةِ كي يختَصِرَ لهم الطريقَ، فيأخذون

أفضلَ ما في الجيلِ السابقِ ويتَجنبون إخفاقاتَهُ ونقائصَهُ. ويضعُ رَبُّ الأُسرةِ برامجَهُ مِن خلالِ ما إكتسبهُ في حياتهِ.

الغايةُ الثانيةُ: أن تكونَ الغايةُ خلقَ أُسرَةٍ فاعِلةٍ في المُجتمعِ ونافِعَةٍ له، فيعملُ رَبُّ الأُسرةِ على دراسةِ أفضل ما يخدمُ المجتمعَ من القيمِ والمبادئ والأعمالِ ويبدأُ بزراعتِها في أبناءِ أُسرَتِه، حتى يوصلَهم إلى أن يكونوا أفراداً نافعين للمُجتمعِ.

الغايةُ الثالثةُ: أن يكونوا على درجةٍ عاليةٍ من الكَمالِ الشاملِ, وهذه واقِعاً, غايةٌ كبيرةٌ وجليلةٌ، تتطلبُ جُهداً كبيراً وحثيثاً، إذ أنها تَستلزمُ أموراً جوهريةً، مِنها أن يكونَ رَبُّ الأُسرةِ على درجةٍ مُعتدٍّ بها من الكمالِ، بحيث يَعرِفُ أهميةَ الكمالِ الشاملِ والذي يستوعِبُ كُلَّ كيانِ الإنسانِ (نفساً وقلباً وعقلاً وروحاً)، وتكونُ غايتُه حينئذٍ هي غايةُ اللهِ تعالى، فيجِدُّ ويَجتهِدُ رَبُّ الأُسرةِ في إيصالِ أُسرتِهِ إلى أقصى درجاتِ الكمالِ، وكذلِكَ أن يَضعَ لهُم برنامجاً كمالياً أو يستعينَ بِمَن هو أهلٌ لذلكَ حتى يوصِلَهم إلى ما هو مُقدّرٌ لهم مِن مراتبِ الكمالِ الشاملِ.

الغايةُ الرابعةُ: أنْ يستهدِفَ من خلالِ تربيتِهم صَلاحَ

الجيلِ الذي يَليهم، أي يَعملُ على خَلقِ آباءٍ وأُمَهاتٍ صالحين، يَضمِنُ من صَلاحِهم صَلاحَ جيلِ الأحفادِ، سواءٌ على الدُنيوي أو الديني.

وهناكَ غاياتٌ كثيرةٌ قد يَراها رَبُّ الأُسرةِ أو تَفرضها إمكانياتُ أفرادِ الأُسرةِ.

ويكونُ التغييرُ في المسيرِ والتعديلِ على أساسِ الغايةِ، وإلا فكُلُّ مسيرٍ دونَ غايةٍ ما هو إلا تِيهٍ وضياعٍ.

هذا تَمامُ ما أردتُ إيرادَهُ في هذه الرسالةِ الموجزةِ، راجياً
مِن الحقِ تعالى أن يجعلَ فيها فائِدةً لِعبادِهِ
أنهُ هوَ المبدَأُ وهوَ الغايةُ
والحَمدُ للهِ وَحدهُ

تَم الفراغُ مِنهُ ليلةَ القدرِ ٢٧رَمضان لعامِ ١٤٤١ الموافِق
٢٠٢٠\٥\٢٠
مُنتظَرُ الخَفاجي

الفِهرَسُ Index

كلمة الناشر ٣
المقدمة..... ٥
التمهيد..... ٧
دورُ رَب الأُسرة.....٩
تربية الأبناء ١٣
زرع القيم الإنسانية العليا ١٦
المراقبة والمحاسبة..... ٢٣
المراقبة ٢٣
المحاسبة..... ٢٤
الجزاء..... ٢٥
الثواب ٢٦
العقاب.....٢٦
التحصين من المخاطر..... ٣١
التعامل بين الزوجين..... ٣٧
الاختلاف المرتبي بين الزوجين ٣٩
الطرق الصحيحة لتلافي حدوث المشكلات المنزلية ٤١

الأسباب الحقيقية للمشكلات المنزلية.....٤١
طرق معالجة المشكلات الأسرية ٤٩
تقوية الروابط الأسرية ٥٣
الافراط العاطفي.....٥٧
التضحية بالرغبات لأجل المحافظة على كيان الأُسرة...٥٩
الغاية الاسرية ٦١